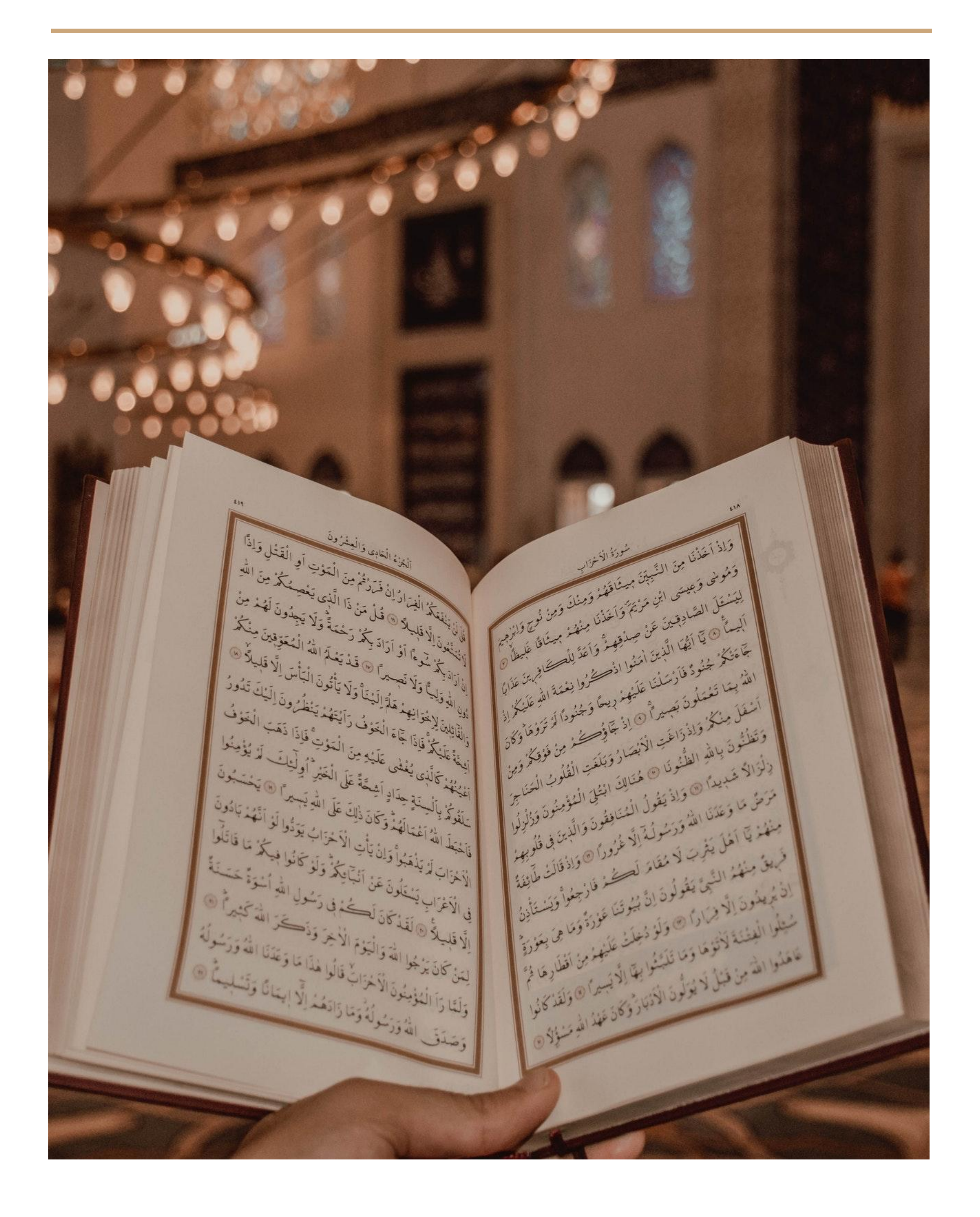
الإسلام كما أنزل https://alislamkamaounzil.com

كيف نُشفى بالقرآن والسنة

كتبه غريب الديار ٢٥ شعبان ١٤٤٢



لعل أول ما يتبادر إلى ذهنك عند رؤية كيف نُشفى بالقرآن والسنة, الرقية الشرعية للأمراض العضوية, ومس الشياطين, ولكن في الواقع أنا أقصد نوعا آخر من الأمراض.

هذا النوع في الغالب لا يكون المريض فيه على علم بمرضه, إنه الأمراض التي تصيب صدر المرء فتجعله قلقا غير مطمئن تملأه الريبة والظنون, وفي نفس الوقت يرى أنه على الصراط المستقيم الذي لا شك فيه.

فهذا النوع من الأمراض أنزل الله شفاءه في وحيه قرآنا وسنة فقال:

﴿يا أَيُّهَا النّاسُ قَد جاءَتكُم مَوعِظَةٌ مِن رَبِّكُم وَشِفاءٌ لِما فِي الصُّدورِ وَهُدًى وَرَحمَةٌ لِلمُؤمِنينَ﴾ [يونس: ٥٧]

في هذه السطور سوف نحاول بيان كيف نشفى بالقرآن والسنة مما في الصدور بعون الله وكرمه وذلك من خلال المحاور التالية:

- الكشف عن المرض
- كيف نُشفى بالقرآن والسنة

الكشف عن المرض



إذا قرأت قول الحق سبحانه:

﴿وَلَو أَنَّ لِلَّذينَ ظَلَموا ما فِي الأَرضِ جَميعًا وَمِثلَهُ مَعَهُ لَافتَدَوا بِهِ مِن سوءِ العَذابِ يَومَ القِيامَةِ وَبَدا لَهُم مِنَ اللَّهِ ما لَم يَكونوا يَحتَسِبونَ﴾ [الزمر: ٤٧]

وتمعنت فيه، فإنه لا شك سوف ينتابك شعور بالخوف من أن تكون المعني بهذا الآية، ويوم القيامة بدل أن تدخل الجنة كما كنت تحتسب، تدخل النار والعياذ بالله.

هذا الخوف يكون أكبر حين تتذكر أن فرق هذه الأمة الكافرة، كالخوارج، والمرجئة، والقدرية، وغيرهم، كلهم كانوا يمرون على هذه الآية نفسها، ويعتقدون أنها لا تعنيهم، وأنت الآن متأكد من كونها منطبقة عليهم، وأن مصيرهم النار يوم القيامة

فكيف سوف تعرف أنك فعلا ناج من هذه الآية، ولست واهما كما كانوا واهمين؟

ستقول لي أنا أتبع القرآن والسنة ولذلك أنا لست ممن تتحدث عنه الآية.

في الواقع كل أولئك الفرق الضالة، تدعي أنها تتبع القرآن والسنة، وتستدل بهما على ما عندهم من معتقدات باطلة، والسبب أن الوحي له مفعول مزدوج:

فهو من ناحية هدى وشفاء للمؤمنين، وفي نفس الوقت يزيد الظالمين ضلالا وخسارة، واقرأ قوله سبحانه:

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَرَحمَةٌ لِلمُؤمِنينَ وَلا يَزيدُ الظّالِمينَ إِلّا خَسارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢]

واقرأ قوله:

﴿ قُل يا أَهلَ الكِتابِ لَستُم عَلى شَيءٍ حَتّى تُقيمُوا التَّوراةَ وَالإِنجيلَ وَما أُنزِلَ إِلَيكُم مِن رَبِّكُم وَلَيَزيدَنَّ كَثيرًا مِنهُم ما أُنزِلَ إِلَيكَ مِن رَبِّكَ طُغيانًا وَكُفرًا فَلا تَأسَ عَلَى القَومِ الكافِرينَ ﴾ [المائدة: ٦٨]

فهو نفس الوحي، ولكنه يزيد كل طرف فيما هو فيه، فيزيد المؤمن إيماناً ويزيد الضال ضلالاً، وكلاهما يرى أنه يتبع القرآن والسنة، وأن ما عنده إنما استنتجه من القرآن والسنة.

ودعني أضرب لك مثلا حيا من كيف يضل الله الظالمين بالقرآن في زماننا.

لا ينفك القرآن يؤكد على بيانه ويسره حتى أن من أسماءه البيان والبينات, ومع ذلك فقد أعمى الله قلوب الظالمين عن الكثير من الآيات التي تتحدث عن بيان القرآن ويسره, وجعلهم يركزون على آية واحدة, وهي قوله سبحانه:

﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران: ٧]

ثم لا يرون من هذه الآية الآيات المحكمات, وإنما يركزون على المتشابهات وعلى كلمة الراسخون في العلم فيفهون الآية كما لو كانت هكذا

هو الذي أنزل عليك الكتاب آيات متشابهات لا يعلم تأويله إلا الراسخون في العلم.

وهكذا أصبحت هذه الآية في نظر هؤلاء العميان سببا وجيها في الإعراض عن القرآن, فهو متشابه, لا يعرف معناه غير الراسخون في العلم, ومن ثم فإن من أراد فهم آية, عليه أن يلجأ للمفسرين أصحاب التوكيل الحصري لفهم القرآن.

أي أن هذه الآية زادت في ضلال هؤلاء حيث وفرت لهم سببا وجيها للإعراض عن القرآن والعياذ بالله.

إن هؤلاء العميان يقرؤون القرآن يوميا ويدعون أنهم يتبعوه, ويتبعوا السنة, ولكن بفهم الراسخين في العلم, وليس بفهمهم هم, فالقرآن بالنسبة لهم متشابه.

أي أنه لا فرق بينك وبينهم في ادعاء اتباع الوحي قرآنا وسنة, فما الذي يضمن أنك على صواب, وهم على خطأ؟

بمعنى آخر كيف نكون فعلا متبعين للقرآن والسنة ولسنا مجرد مدعين؟

كيف نُشفى بالقرآن والسنة

إن القرآن والسنة شفاء لما في الصدور كما قال ربنا, ولكن هذا الشفاء ليس لكل الناس كما رأينا سابقا, فهو خاص بالمؤمنين, ومفعوله عكسي مع الكفار, يقول ربنا:

﴿ وَلَو جَعَلناهُ قُرآنًا أَعجَمِيًّا لَقالوا لَولا فُصِّلَت آياتُهُ أَأَعجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُل هُوَ لِلَّذينَ آمَنوا هُدًى وَشِفاءٌ وَالَّذينَ لا يُؤمِنونَ في آذانِهِم وَقرٌ وَهُوَ عَلَيهِم عَمًى أُولئِكَ يُنادَونَ مِن مَكانٍ بَعيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٤]

لذلك أول شرط في التداوي بالقرآن والسنة هو الإيمان الحقيقي عموما، والإيمان بالقرآن والسنة خصوصا.

وهذا يعني أمرين:

- أولا التصديق بكل ما في القرآن والسنة، بما فيه الآيات والأحاديث التي تتحدث عن بيان الوحي لكل شيء وتفصيله.
- ثانيا الاقتصار على الوحي قرآنا وسنة كمصدر للتلقي والتشريع وكل شيء، فهو الكفاية .

هذا الشرط الثاني يعني أن المرء حين يقرأ الوحي يقرأه وهو خال من أي تصور لا يُستمد من الوحي، حتى لا يؤثر ذلك التصور على طريقة تعامله مع ما يقرأ من الوحي.

فمثلا الصحابة رضوان الله عليهم كان الواحد منهم بمجرد إسلامه يتنكر لكل ما كان يعرفه ويعتقده في الجاهلية، ويقبل على الوحي بقلب خال من كل تصورات جاهلية قد تؤثر على قراءته للوحي وفهمه له، فيستقي قيمه وتصوراته من الوحي حصرا يقر ما شاء مما كان موجودا في الجاهلية، أو يلغيه.

من ذلك تحرج بعض الصحابة رضوان الله عليهم من السعي بين الصفا والمروة في الحج، نظرا لكونه مما كان يفعله الكفار، فأنزل ربنا عز وجل:

﴿ إِنَّ الصَّفا وَالمَروَةَ مِن شَعائِرِ اللَّهِ فَمَن حَجَّ البَيتَ أَوِ اعتَمَرَ فَلا جُناحَ عَلَيهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِما وَمَن تَطَوَّعَ خَيرًا فَإِنَّ اللَّهَ شاكِرٌ عَليمٌ ﴾ [البقرة: ١٥٨]

وكذلك نحن، فنحن يجب علينا حين نقرأ الوحي أن نكون قد أفرغنا عقولنا وقلوبنا من كل تصور زرعه فينا المحيط، ثم نقبل على الوحي بصفته المصدر الوحيد لتصوراتنا ومعتقداتنا، وقد ناقشت بعض السبل التي تجعلنا قادرين على حذف ما عندنا من تصورات في مقال كيف أكون مسلما حقا.



حين يكون الوحي هو وحده من شكل تصوراتنا ومعتقداتنا, سيعمل مفعوله فينا وسيتحول الوحي من ذلك الكتاب المتشابه الذي لا يفهمه إلا الراسخون في العلم إلى النور الساطع الواضح المبين الذي ينير دربنا, ويملأ صدورنا, وحينها فقط يمكننا القول بأننا نهتدي بالقرآن والسنة فعلا ونتبع القرآن والسنة فعلا.

أما إذا كنا غير مستعدين لجعل الوحي المصدر الوحيد لتصوراتنا ومعتقداتنا, فإن الوحي ساعتها سيزيدنا تمسكاً بما عندنا من تصورات جاهلية ونحن مع ذلك نظن أننا نحسن صنعا فنكون ممن قال ربنا فيهم:

﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشاءُ وَيَهدي مَن يَشاءُ فَلا تَذهَب نَفسُكَ عَلَيهِم حَسَراتٍ إِنَّ اللَّهَ عَليمٌ بِما يَصنَعونَ ﴾ [فاطر: ٨]

فاختر لنفسك, فأنت الآن على بينة من أمرك.